لَـئِـنْ مَـنَـعُـوا لَـيْـلَـى الـسَّـلامَ وَضَـيَّـقُـوا
عـلـيـهـا لأَجْـلِـي واسْـتَـمَـرَّ رَقـيـبُـهـا(١)
أَتَـيْـتُ وَلَـوْ أَنَّ الـسُّـيـوفَ تَـنـوشُـنِـي
وطُـفْـتُ بُـيـوتَ الـحَـيِّ حَـيْـثُ أُصِـيـبُـهـا(٢)
فَـلَـيْـتَ الَّـذي أَنْـوي لِـلَـيْـلَـى يُـصِـيـبُـنـي
وَلَـيْـتَ الَّـذي تَـنْـوي لـنـا لا يُـصِـيـبُـهـا(٣)
يَـقـولـونَ لـي يَـوْمـاً وَقَـدْ جِـئْـتُ حَـيَّـهُـمْ
وفـي بـاطِـنـي نـارٌ يُـشَـبُّ لَـهـيـبُـهـا(٤)
أَمَـا تَـخْـتَـشـي مِـنْ أُسْـدِنَـا فـأَجَـبْـتُـهُـمْ
هَـوَى كُـلِّ نَـفْـسٍ أَيْـنَ حَـلَّ حَـبِـيـبُـهـا(٥)

٢٢
مناجاة

رسم صورة في التراب وجلس يناجي الرسم شاكياً له ما أَصابه من وجد وشوق وعذاب هجر.

[الوافر]

أُصَـوِّرُ صُـورَةً فـي الـتُّـرْبِ مِـنْـهـا
وأَبْـكِـي إِنَّ قَـلْـبِـي فـي عَـذابِ(٦)

(١) و (٢) يعرض الشاعر مشكلته، وتتلخص بزيارتي لها، فلو منعوني من ذلك وحالوا دوني ودونها بالرقباء أتيت لرؤيتها غير مبالغ بسيوفهم تقتلني، وقمت بالطواف حول تلك الديار وكأني حاجّ حتى ألتقيها.

(٣) يتمنّى الشاعر الخير ودوام السعادة لليلى كما يتمنى ألّا يصيبها ما تتمنّاه من شرّ له.

(٤) و (٥) يدور حوار بين الشاعر والرقباء: فهم يحذّرونه من المجيء إلى الديار لأنهم ينوون الإساءة إليه وقتله، فيردّ عليهم بأنه يلبّي داعي الهوى فحيث يوجد الحبيب يهوى المحبّ وينزل بدياره.

(٦) شدّة شوق الشاعر لمحبوبته حمله على رسم لها ومناجاتها وهو يبكي ويبثّها لواعج قلبه ويذكر لها آلامه عسى أن ترقّ له.

وَأَشْكو هَجْرَها مِنْها إِلَيها
شِكَايَةَ مُدْنَفٍ عَظِمِ المُصابِ[١]
وَأَشْكو مَا لَقِيتُ وَكُلَّ وَجْدٍ
غَراماً بِالشِّكَايَةِ لِلتُّرابِ[٢]
يَمِيلُ بِيَ الهَوى في أَرْضِ لَيْلَى
فَأَشْكُوها غَرامِي والتِهابِي[٣]
وأُمْطِرُ في التُّرابِ سَحَابَ جَفْنِي
وَقَلْبِي في هُمومٍ واكتِئابِ[٤]
وَأَشْكو لِلدِّيارِ عَظِيمَ وَجْدي
وَدَمْعِي في انْهِمَالٍ وانْسِيَابِ[٥]
أُكَلِّمُ صُورَةً في التُّرْبِ مِنْها
كَأَنَّ التُّرْبَ مُسْتَمِعٌ خِطابِي[٦]
كَأَنِّي عِنْدَها أَشْكو إِلَيها
مُصابِي والحَدِيثُ إلى التُّرابِ[٧]

---

(١) و (٢) المدنف: المتيّم العاشق. يبثّ الشاعر أحزانه للصورة، فالهجر أضناه، فنزلت به المصائب وألمّت به الأحزان؛ ذلك حوار بين لحم ودم وتراب لا يحسّ ولا يشعر، والأمر تعبير عن تنفيس الكرب المحموم في أعماق النفس المتألمة.

(٣) و (٤) صراع النفس قوي في أعماق الشاعر، فهو ما إن تتطأ قدماه ديار محبوبته حتى تنتصر عليه المشاعر ويشدّه الحنين إلى ديارها، فيشكو لها آلامه وشوقه لرؤيتها، ويبكي حبّه وتمنّعها. ولشدّة بكائه يبتلّ التراب.

(٥) ولا يكتفي بذلك، فهو يشكو لديار الحبيبة حبّه مسترسلاً في البكاء المنهمر.

(٦) و (٧) حوار بين الشاعر وصورة المحبوبة في التراب، حتّى كأن التراب بدأ يحسّ فيبثّه آلامه ويعرض عليه سلسلة أحزانه، ولكنّ التراب تراب، فيضيع الكلام في الهواء، وتبقى المشكلة قائمة.

فَــلا شَــخْــصٌ يَــرُدُّ جَــوابَ قَــوْلــي
ولا الــعــتَّــابُ يَــرْجــعُ فــي جَــوابِــي[١]
فــأرْجــعُ خــائــبــاً والــدَّمــعُ مِــنِّــي
هَــتُــونٌ مِــثْــلُ تَــسْــكــابِ الــسَّــحَــابِ[٢]
عــلــى أَنِّــي بــهــا الــمَــجْــنــونُ حــقّــاً
وَقَــلْــبِــيَ مِــنْ هَــواهــا فــي عَــذابِ[٣]

٢٣
البكاء على الزمن الضائع

[الطويل]

سَــأَبــكِــي عــلــى مــا فَــاتَ مِــنِّــي صَــبَــابَــةً
وَأَنْــدُبُ أَيَّــامَ الــسُّــرُورِ الــذَّوَاهِــبِ[٤]
وأَمْــنَــعُ عَــيْــنِــي أَنْ تَــلَــذَّ بِــغَــيْــرِكُــمْ
وإِنِّــي وَإِنْ جَــانَــبْــتُ غَــيْــرُ مُــجَــانِــبِ[٥]

(١) لا ردّ ولا جواب، فيضيع العتاب ويتبدّد كهباء منثور.
(٢) و (٣) ويعود من رحلة الوهم خالي الوِفاض، حاملاً في عينيه دمعاً منهمراً وهنا يتحقّق الشاعر من جُنونه، فقد تغلَّب القلب على العقل وبات يتعذّب لذلك.
ورد في لسان العرب ١٣ : ٥٠ مادة «برثن»/ «.. وبُرْثُن: قبيلة؛ أنشد سيبويه لقيس بن الملوّح:
لَخُطّابُ ليلى، يالَ بُرْثُنَ منكُمُ، أدلّ وأَمْضَى من سُلَيْكِ المقانبِ
غيره: بَرْثُنٌ حيٌّ من بني أسد». وانظر: الكتاب لسيبويه وشرح شواهده للأعلم: ١ : ٣٢٩، شرح المفصل لابن يعيش الحلبي ١ : ١٣١، المقرّب لابن عصفور: ٣٨.
(٤) الماضي والحاضر ركنا الحياة للبشر. الخطّ البياني للشاعر في الماضي سعيد بهيج باسم ذهب مع الريح لذا يبكيه الشاعر فلن يعود والحاضر بكاء وعذاب فقد غلبته الصبابة لمن يحب وانقطع حبل المودة.
(٥) تعوّدت عين الشاعر أن ترى وجهاً واحداً فلن يلذّ لها رؤية غيره، وهو يتجنّب رؤية حبيبته مرغماً، ولن يبتعد وجدانياً.